الاعتصام بكتاب الله تعالى سبيل لوحدة الأمة

د. هيثم خضير عباس
جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية

Submission to the Holy Quran is a Way to Unite the Nation

Dr. Haitham Kudhair Abbas
University of Babylon / College of Quranic Studies

Abstract

Allah had sent the Holy Prophet Muhammad (pbuh) a messenger to the whole people to show them the right way, establish a system of all aspects of life according to the Holy Creator, and prepare a generation to achieve this mission after his death. The prophet was able to make a change in this world, eliminate all the corruption at the time, and create an absolutely unique generation the right manner and tradition of which will never be repeated. The reason for this change was not but the resort to the Holy Quran and the total submission to it.

المقدمة

بعث الله تعالى الرسول الأمين محمداً–عليه وعلى آله الصلاة والسلام رسولاً للعالمين ليرسم لهذه البشرية طريقها،ويؤسس نظاماً لحياتها وفق مراد خالقها سبحانه، وفي جميع شؤونها وأعمالها، ويُعِدُ جيلاً ليستلم هذه المهمة من بعده وقد استطاع عليه وعلى آله الصلاة والسلام أن يحدث تغيراً في هذه الأرض، ويخلع كل أنواع الفساد الموجود حينئذ، وأن يخرج جيلاً فريداً على الإطلاق لم ولن يتكرر بتلك الهيئة، بسلامة منهجه ومعتقداته، ولم يكن العامل الأساس لهذا التغير إلا الاستقاء من منبع القرآن الكريم، و التمسك والاعتصام بحبل الله تعالى، وبَرَز أثر قول الله تعالى: : **{وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**[1] ولقد تحقق الانتشار للإسلام تحققاً رائداً عندئذ، ووصل إلى الأرض شرقا وغرباً لتمسكهم بالوحي المنزل0

وقد أصبح المسلمون اليوم كمّاً مهملاً بين الأمم والشعوب، وأصبحت أمَّة الإسلام التي وصفها الله من فوق سبع سموات بأنها خير أمَّة أخرجت للناس تعيش حالة من الذلة والمهانة والضياع، يتخطفها أعداؤها من كل حدب وصوب، ويطمع فيها القاصي والداني، سلبت أرضها، وخدشت كرامتها، وغربت شمس عزتها وانتهكت حرماتها ومقدساتها، وضاعت هيبتها بين الشعوب، حتى أصبح أعداؤها يتحكمون في رسم حاضرها، والتخطيط لمستقبلها بما يتناسب مع مصالحهم وتحقيق أهدافهم، وسبب ذلك كله هو تخلي المسلمين عن مصدر قوتهم وعزتهم وسيادتهم، وتخليهم عن الإسلام رسالة ومنهجاً ونظاماً للحياة، حتى ضاع الدين الحق من واقعنا ومجتمعاتنا، ضاع من سلوكنا وتعاملنا مع بعضنا، فدبَّت الفرقة والتنازع في جسد الأمة، وحل بين أبنائها الخلاف وتأصل في واقعها الضعف، فاستأسد الأعداء علينا بعد أن وجدوا أمة الإسلام فريسة سهلة، وصيداً ثميناً، وحتى تعود الأمة إلى مجدها وعزها لا بد من تصحيح مسارها لإنقاذها من التردي والسقوط والانهيار، وذلك بالاعتصام بحبل الله والالتفاف حول دينه والوثوق بوعده ونصره، ونبذ الفرقة والتنازع والاختلاف والذي يؤدي كله إلى الفشل والضعف والذلة والمهانة ،فالأمة بحاجة إلى بعث جديد، تنفض فيه غبار الجبن والخوف عن نفسها، فعلى الأمة أن تستنهض همم أبنائها، وتبث العزائم في قلوبهم ونفوسهم فبالرغم من كل التحديات الواقعية، والمؤامرات الدولية على الإسلام والمسلمين فإننا نعتقد جازمين وواثقين بوعد الله بأن المستقبل لهذا الدين ما بقينا معتصمين بكتاب الله تعالى .

[1] - سورة آل عمران: الآية 101

المبحث الأول : الاعتصام في اللغة والاصطلاح

الاعتصام في اللغة :

العصمة في كلام العرب بمعنى المنع، وعصمة الله لعبده أن يعصمه مما يوبقه، تقول عصمه يعصمه عصماً منعه ووقاه، وفي التنزيل قوله تعالى: { **سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ** } [1] أي يمنعني من تغريق الماء.

واعتصم فلان بالله إذا امتنع به، والعصمة بمعنى الحفظ، ومنه قوله تعالى: { **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس** } [2] أي يحفظك ويحميك.

والاعتصام بمعنى الامتناع، تقول اعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية واستعصم بمعنى امتنع وأبى، ومنه قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز حين راودت يوسف عليه السلام عن نفسه { **وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ** }[3] بمعنى أنه أبى عليها ولم يجبها إلى ما طلبت. والعاصم المانع والحامي[4] .

ويقول ابن فارس: عصم: العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد، ومن ذلك العصمة، وهي أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه، واعتصم العبد بالله تعالى إذا امتنع، واستعصم: التجأ وتقول العرب أعصمت فلاناً أي : هيأت له شيئاً يعتصم بما نالته يده أي يلتجئ ويتمسك به[5].

فمن خلال ما تقدم يتبين لنا أن الاعتصام في اللغة وردت بمعان عديدة وهي المنع والاتقاء والحفظ والحماية والالتجاء وكلها معان متقاربة تدور حول فلك واحد.

الاعتصام في الاصطلاح :

تقاربت معاني الاعتصام في الاصطلاح عند المفسرين كما تقاربت عند اللغويين

ويظهر ذلك جلياً من خلال المعاني الاصطلاحية الآتية:

عرف الطبري الاعتصام بقوله: فالاعتصام بالله التمسك بعهده وميثاقه الذي عهد في كتابه إلى خلقه من طاعته وترك معصيته[6]

ويعرف الطبرسي الاعتصام بقوله : هو الامتناع ، واعتصم فلان بالله أي امتنع من الشر به و العصمة من الله دفع الشر عن عبده واعتصمت فلانا هيئت له ما يعتصم به و العصمة من الله تعالى على وجهين أحدهما : بمعنى الحفظ وهو أن يمنع عبده كيد الكائدين كما قال سبحانه لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) { **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** }[7] والآخر : أن يلطف بعبده بشيء يمتنع عنده من المعاصي[8] .

والشوكاني يعرف الاعتصام بقوله: (الاعتصام بالله التمسك بدينه وطاعته والوثوق بوعده)[9]

ويعرف الزمخشري الاعتصام بقوله: (التمسك بدينه والالتجاء إليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم) [10]

فمن خلال هذه المعاني يتبين لنا أن الاعتصام في الاصطلاح يأتي بمعنى التمسك بالدين والوثوق بوعد الله والالتجاء إليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم.

---

[1] - سورة هود : الآية 43
[2] - سورة المائدة : الآية 67
[3] - سورة يوسف : الآية 32
[4] - ينظر : لسان العرب، لابن منظور، ج12، ص469، 470 .
[5] - ينظر : معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ج4، ص331 .
[6] - ينظر : جامع البيان للطبري ، ج9 ،ص341.
[7] - سورة المائدة : الآية 67
[8] - ينظر : مجمع البيان للطبرسي ، ج3، ص 225.
[9] - ينظر : فتح القدير للشوكاني ، ج1، ص 367 .
[10]- ينظر : الكشاف للزمخشري ، ج1، ص385 .

وعند النظر في العلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي للفظة الاعتصام يتبين لنا أن المعنى الاصطلاحي يمثل جزءاً من المعاني اللغوية لهذه اللفظة، ولا غرابة في ذلك فالقرآن قد نزل بلغة العرب وذلك تصديقاً لقوله تعالى { **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** }[1].

المبحث الثاني :آيات الاعتصام ونبذ الفرقة والاختلاف في السياق القرآني

الاعتصام بكتاب الله تعالى هو سبيل المنعة والقوة، وهو سبيل النصر والتمكين والعزة والكرامة، ولقد سجلت أمة الإسلام في التاريخ مكانة مرموقة وسؤدداً عظيماً يوم أن تمسك المسلمون بدينهم، واعتزوا بتعاليم ربهم وتمسكوا بسنة نبيهم – صلى الله عليه وآله وسلم –، والتمسوا العزة في دين الله فأعزهم الله سبحانه، وأظهرهم على أعدائهم، فحافظوا على قيادتهم للإنسانية، وريادتهم للبشرية ما بقوا معتصمين بحبل الله، متآلفين على قلب رجل واحد، فهابهم أعداؤهم، وحسبوا لهم ألف حساب وحساب، وحين وقع الخلاف بين أبناء الأمة، وتنازعوا فيما بينهم ضاعت هيبتهم من قلوب أعدائهم، وأصابهم الوهن والضعف، فتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها وذهبت ريحهم وتبددت قوتهم، وأصبحت بلاد العالم الإسلامي لقمة سائغة، يتطاول عليها القاصي والداني، ويتجرأ عليها الضعفاء قبل الأقوياء.

لذلك يخاطبنا رب العزة والجلال بضرورة الاعتصام والوحدة والبعد عن الاختلاف والفرقة حتى يعود للأمة مجدها وعزتها وسؤددها، وذلك في الآيات الآتية:

قوله تعالى: { **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**}[2]

ففي قوله تعالى: { **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا...** } يعني بذلك جل ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعًا، وتمسَّكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عَهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله) وقد تنوعت عبارات المفسرين لقوله تعالى (بحبل الله) فقال السدي: "واعتصموا بحبل الله جميعًا"، أما"حبل الله"، فكتاب الله، وقال مجاهد: "بحبل الله"، بعهد الله، وقال عطاء: "بحبل الله"، قال: العهد، لانه سبب النجاة كالحبل الذي يتمسك به للنجاة من بئر أو نحوها. ومنه الحبل الامان، لانه سبب النجاة. وقال الضحاك في قوله: {واعتصموا بحبل الله جميعًا}، قال: القرآن، فكل عبارات المفسرين تدل على معنى واحد –وإن تنوعت ألفاظهم– هو التمسك بالوحي المنزل الذي هو كتابه، وعهده، وهو القرآن الكريم، وهناك تفسير أخر بأن حبل الله هو الجماعة، كما جاء ذلك عن قتادة وابن مسعود.

أما حبل الله تعالى جاء في تفسيره : إنه (القرآن الكريم) ، لقول رسول لله صلى الله عليه وآله وسلم : **(إن هذا القرآن هو حبل الله الذي أمر به ، وهو النور المبين الشفاء النافع، عصمة لمن اعتصم به ونجاة لمن تمسك به)**[3]

فالأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده وهو هنا يذكرهم بهذه النعمة، يذكر كيف كانوا في الجاهلية أعداء، وما كان أعدى من الأوس والخزرج في المدينة أحد وهما الحيان الغريبان في يثرب، يجاورهما اليهود الذين كانوا يوقدون حول هذه العداوة وينفخون في نارها حتى تأكل روابط الحيين جميعاً، ومن ثم تجد يهود مجالها الصالح الذي لا تعمل إلا فيه، ولا تعيش إلا معه فألَّف الله بين قلوب الحيين من العرب بالإسلام، وما كان إلا الإسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة، وما كان إلا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله إخوانا.

إذن فالقلوب لا يمكن لها أن تجتمع إلا في ظل الأخوة في اللّه، فتصغر إلى جانبها الثارات القبلية، والأطماع الشخصية،ولن تجد الأمة من ينصرها على أعدائها من الداخل والخارج، ويسلم لها كيانها من التمزق والشتات، ويصفو لها مشربها مالم تجعل الله لها ولياً ونصيراً، وتضع ثقتها به سبحانه، بالإضافة إلى إقامة شعائر الدين، وركائزه الإيمانية كالصلاة التي تربط الأمة بخالقها، وشعيرة الزكاة التي تربط الأمة بعضها البعض، أن تتمسك بالعروة الوثقى التي لا

[1] - سورة يوسف: الآية 2
[2] - سورة آل عمران : الآية 103 .
[3] - ينظر: مصنف عبد الرزاق : ج3 ، ص 375 رقم الحديث 6017

تنفصم، فلا نصير ولا ولي لها إلا أن تعتصم الأمة به تعالى فهو نعم الولي ونعم النصير، قال سبحانه: { **فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**}[1]

هذه الآية الكريمة تضمنت الدعوة إلى توحيد الكلمة وجمع الشمل والتماسك حول محور واحد والتوجه نحو قبلة واحدة ،والتجمع حول هدف واحد ، تسعى إلىها الأمة وتتوخاه ، أما ما نراه بواقع المسلمين اليوم ، فهو اختلافهم وتناحرهم ، واحتراب طوائفهم وهم في ذلك خالفوا أمر ربهم وهو يدعوهم إلى الوحدة والاعتصام، ومن أسباب العصمة من الاختلاف ما ذكره النبي في الحديث: **(إن الله يرضى لكم ويكره لكم ثلاثاً ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وان تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال)**[2]

وقوله:{ **إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** } [3].

استثنى الله تعالى من المنافقين التائبين فقال: " الاالذين تابوا " فاستثنى منهم التائبين من نفاقهم إذا اصلحوا نياتهم، واخلصوا الدين لله، وتبرؤا من الآلهة والانداد، واعتصموا بكتاب الله تعالى و تمسكوا بعهده وميثاقه وصدقوا رسله، فانهم إذا فعلوا ذلك فانهم يكونون مع المؤمنين في الجنة[4] .

وهنا دعوة أخرى من الله تعالى يوجهها للناس بملازمة الإيمان، إذ الاعتصام بالله ثمرة للإيمان به سبحانه، فمتى عرف العبد حقيقة الرب تعالى وعبوديته، ورأى النور يتجلى له، وأن غاية هذا النور الرحمة والحصول على الفضل، وإنارة الطريق أمامه، لن يبقى إلا أن يعتصم العبد به، قال تعالى: { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا**}[5]

وعن أبي عبد اللَّه الصادق عليه السلام أنّه قال: «أوحى اللَّه عزّوجلّ إلى داود ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته ، ثمّ يكيده السماوات و الأرض ومن فيهنّ إلّاجعلت له المخرج من بينهنّ»[6].

وقوله: { **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ** }[7] .

يقول الله تعالى: مخاطبا جميع الناس ومخبرا بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم وهو الدليل القاطع للعذر، والحجة المزيلة للشبهة ويمثل ضياء واضحا على الحق وأن الذين جمعوا بين مقامي العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن وأنه سبحانه سيرحمهم فيدخلهم الجنة ويزيدهم ثوابا ومضاعفة ورفعا في درجاتهم، من فضله عليهم وإحسانه إليهم، ويجعل لهم طريقا واضحا قصدا قواما لا اعوجاج فيه ولا انحراف. وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعمليات، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي إلى روضات الجنات[8] .

وفي هذا المعنى ينقل لنا الإمام علي عليه السلام ما أخبره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم يقول: (ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا {**إِنَّا سَمِعْنَا**

---

[1] - سورة الحج : الآية : 78 .
[2] - ينظر : صحيح مسلم ، كتاب الاقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة : 3 ، 1340 رقم الحديث 1715
[3] - سورة النساء : الآية 146 .
[4] - ينظر :التبيان في تفسير القرآن للطوسي ج3 ، ص 368
[5] سورة النساء : الآية 174- 175 .
[6] - ينظر : وسائل الشيعة لمحسن الأعرجي، ج١٥، ص٢١١، من جهاد النفس، رقم الحديث ٢. المحقق الكاظمي ، طبع على الحجر ـ إيران 1321 هـ .
[7] - سورة النساء : الآية 175 .
[8] - ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج2 ، ص481

قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ}[1]، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم)[2]

وقوله: { **وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**}[3]

معناه يمتنع والعصم: المنع ،تقول عصمه يعصمه عصما، ومنه قوله: { **لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إلا مَنْ رَحِمَ** }[4] أي لامانع[5] .

فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العُمْدة في الهداية، والعُدَّة في مباعدة الغَواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد، وحصول المراد[6].

وقوله: {**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**}[7]

بعد أن تحددت التسمية بالأمة الإسلامية الواحدة، سماها كذلك من قبل وسماها كذلك في القرآن الكريم قال تعالى : (هوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) ثم جاء النص الذي يلي‌ها ليبين التركيبة لهذه الأمة ، فهم المسلمون المستمسكون بأوامره ونواهيه والمستمسكون بذاته العلية لايفكرون إلا فيه، ولا يبتغون غيره، ويلتفون حول شريعته غير منفصلين عنها ، يتولى بعضهم بعضاً بالمحبة والنصرة والتأييد[8]، كما قال تعالى: {**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**}[9] .

وفي هذا المعنى قال رسول لله صلى الله عليه وآله وسلم : **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)**[10].

ثمرات الاعتصام بحبل الله وويلات الفرقة والاختلاف

الاعتصام بحبل الله وصية الله سبحانه وتعالى لرسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – وأتباعه الذين آمنوا معه، والذين منَّ عليهم بنعمة الأخوة والهداية وآمنهم بعد خوف ويسَّر لهم إقامة دولة لهم على أرض المدينة المنورة بعد أن كانوا قلة مستضعفين، والتحذير من الفرقة والاختلاف وصية الله أيضاً لرسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – ولأمته حتى لا يبددوا قوتهم ويضعفوا جمعهم ويصبحوا لقمة سهلة وصيداً ثميناً يتكالب عليهم الأعداء من كل حدب وصوب فكانت هذه الوصايا الثمينة من الله للمسلمين في كل زمان إلى قيام الساعة لما للاعتصام بحبل الله من ثمرات وما للفرقة والاختلاف من ويلات.

المبحث الثالث: ثمرات الاعتصام بحبل الله تعالى:

للاعتصام بحبل الله تعالى ثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة بيَّنها الله سبحانه في كتابه الكريم وهي:

أولاً: الامتثال لأمر الله:

فاعتصام الأمة بحبل الله والالتفاف حول دينهم فيه امتثال لأمر الله وسمع وطاعة له والرضا بما ارتضاه، فالله سبحانه وتعالى لا يأمر إلا بخير ولا يحذر إلا من شر حين يقول: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا }[11] .

---

[1] - سورة الجن الآية 1-2

[2] - ينظر : سنن الترمذي ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل القرآن ، رقم الحديث 2906، وبألفاظ متقاربة ينظر : غرر الحكم ودرر الكلم لعبد الواحد بن محمد الآمدي ، قم – ايران ج1 ، ص57

[3] - سورة آل عمران : الآية 101 .

[4] - سورة هود : الآية 43 .

[5] - ينظر :التبيان في تفسير القرآن للطوسي ج2 ، ص 542

[6] ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج2 ، ص86

[7] - سورة الحج : الآية : 78 .

[8] - ينظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ج1 ، 5038

[9] - سورة التوبة : الآية 71 .

[10] - ينظر : صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والادب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ج4 ، ص 1999 رقم الحديث 2586

[11] - سورة آل عمران : الآية 103 .

أي تعلقوا بأسباب الله جميعاً، وتمسكوا بدينه الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله فقد كره الله لكم الفرقة وحذركموها ونهاكم عنها ورضي لكم السمع والطاعة والألفة والجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضي الله لكم[1]

يقول الفخر الرازي حول معنى الاعتصام بحبل الله: (واعلموا أنه تعالى لما أمرهم بالاتقاء عن المحظورات أمرهم بالتمسك وبالاعتصام بما هو كالأصل لجميع الخيرات والطاعات وهو الاعتصام بحبل الله، واعلم أن كل من يمشي على طريق دقيق يخاف أن تنزلق رجله فإذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبي ذلك الطريق أمن من الخوف، ولا شك أن طريق الحق طريق دقيق، وقد انزلق أرجل الكثير من الخلق عنه، فمن اعتصم بدين الله يكون بذلك قد أطاع الله تعالى وامتثل لأوامره ويأمن من الانزلاق عن طريق الحق، فكان المراد من الحبل ههنا كل شيء يمكن التوصل به إلى الحق في طريق الدين)[2] . ومن هنا يتبين لنا أن طاعة الله تعالى والامتثال لأمره هي ثمرة من ثمرات الاعتصام بحبل الله.

ثانياً: الهداية إلى صراط الله تعالى المستقيم:

فالهداية إلى الحق ثمرة من ثمرات الاعتصام بحبل الله كما قال سبحانه: { **وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** }[3]

فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية، والعدة في مباعدة الغواية والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد، وحصول المراد[4].

ويقول الإمام القرطبي: (ومن يعتصم بالله أي يمتنع ويتمسك بدينه وطاعته فقد هدي أي وفق وأرشد إلى صراط الله المستقيم)[5].

ويقول الشوكاني: (أرشدهم الله إلى الاعتصام به ليحصل لهم بذلك الهداية إلى الصراط المستقيم الذي هو الإسلام)[6] .

ويقول محمد الطاهر بن عاشور: سياق الآية مؤذن بأنها جرت على حادثة حدثت وأن لنزولها سبباً، وسبب نزولها أن الأوس والخزرج كانوا في الجاهلية قد تخاذلوا وتحاربوا حتى تفانوا وكانت بينهم حروب كان آخرها يوم بعاث التي انتهت قبل الهجرة بثلاث سنين، فلما اجتمعوا على الإسلام زالت تلك الأحقاد من بينهم وأصبحوا عدة للإسلام، فساء ذلك يهود يثرب، فقام شاس بن قيس اليهودي وهو شيخ قديم منهم بإرسال شاب يهودي جلس إلى الأوس والخزرج يذكرهم حروب بعاث، فكادوا أن يقتتلوا، ونادى كل فريق يا للأوس! يا للخزرج، وأخذوا السلاح، فجاء النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فدخل بينهم وقال: أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم ثم قرأ عليهم: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** }[7] .

ثالثاً: الدخول في رحمة الله تعالى ونيل فضله وهدايته:

وهي ثمرات الاعتصام بالله كما يقول سبحانه: { **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً** }[8]

والمراد آمنوا بالله في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه واعتصموا به في أن يثبتهم على الإيمان، ويصونهم عن نزغ الشيطان، ويدخلهم في رحمة منه وفضل، ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً فوعد الله المعتصمين به بأمور ثلاثة: الرحمة

[1] - ينظر : جامع البيان للطبري ج4، ص31-33 .
[2] - التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، م 4، ج8، ص178
[3] - سورة آل عمران : الآية 101 .
[4] - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج1، ص387 .
[5] - الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص387 .
[6] - فتح القدير، ج1، ص367 .
[7] - التحرير والتنوير، م3، ج4، ص28 ، سورة آل عمران : الآيتان 100، 101 .
[8] - سورة النساء : الآية 175

والفضل والهداية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الرحمة الجنة، والفضل ما يتفضل به عليهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً يريد ديناً مستقيماً[1] .

ويتحدث الأستاذ سيد قطب عن علاقة التلازم والتوافق بين الإيمان والاعتصام فيقول: والاعتصام بالله ثمرة ملازمة للإيمان به، متى صح الإيمان، ومتى عرفت النفس حقيقة الله، وعرفت حقيقة عبودية الكل له، فلا يبقى أمامها إلا أن تعتصم بالله وحده، وهو صاحب السلطان والقدرة وحده، فهؤلاء يدخلهم الله في رحمة منه وفضل، رحمة في هذه الحياة الدنيا قبل الحياة الأخرى، وفضل في هذه العاجلة قبل الفضل في الآجلة فالإيمان هو الواحة الندية التي تجد فيها الروح الظلال من هاجرة الضلال في تيه الحيرة والقلق والشرود، كما أنه هو القاعدة التي تقوم عليها حياة المجتمع ونظامه، فالذين آمنوا بالله واعتصموا به في رحمة من الله وفضل في حياتهم الحاضرة وفي حياتهم الآجلة، وكلمة إليه في قوله: { **وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً** } تخلع على التعبير حركة مصورة، إذ ترسم المؤمنين ويد الله تنقل خطاهم في الطريق إلى الله على استقامة، وتقربهم إليه خطوة خطوة، وهي عبارة يجد مدلولها في نفسه من يؤمن بالله على بصيرة، فيعتصم به على ثقة حيث يحس في كل لحظة أنه يهتدي، وتتضح أمامه الطريق، ويقترب فعلاً من الله كأنما هو يخطو إليه في طريق مستقيم[2].

رابعاً: استحقاق معية المؤمنين ومرافقتهم في الدارين:

فهذه أيضاً شهادة من الله لمن اعتصم بحبل الله وتمسك بدينه وأخلص عمله فيه بأنه مع المؤمنين كما يقول سبحانه: { **إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** }[3] .

جاءت هذه الآية الكريمة بعد الحديث عن المنافقين وما يستحقون من الله من عذاب يوم القيامة فهم أشد الناس عذاباً وفي الدرك الأسفل من النار إلا الذين تابوا منهم وأصلحوا عملهم واعتصموا بالله وأخلصوا لدينهم بحيث لم يشبه عملهم بتردد ولا تربص بانتظار من ينتصر من الفريقين المؤمنين والكافرين، فأخبر أن من صارت حاله إلى هذا الخير فهو مع المؤمنين وفي لفظ (مع) إيماء إلى فضيلة من آمن من أول الأمر ولم يصم نفسه بالنفاق لأن (مع) تدخل على المتبوع وهو الأفضل[4].

هذا استثناء ممن نافق، ومن شرط التائب من النفاق أن يصلح في قوله وفعله ويعتصم بالله أي يجعله ملجأ ومعاذاً، ويخلص دينه لله وإلا فليس بتائب قال الفراء: معنى (فأولئك مع المؤمنين) أي من المؤمنين[5] .

ويقول النسفي في معنى الآية: نزلت هذه الآية تتحدث عن المنافقين الذين تابوا من نفاقهم، وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص، وأخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه، فأولئك مع المؤمنين وهم أصحابهم ورفاقهم وفي معيتهم في الدارين الدنيا والآخرة[6] .

فهذه بعض ثمرات الاعتصام بحبل الله فما أحوجنا إلى الامتثال لأمر الله والاعتصام بحبله وأن نتعرف على الله في الرخاء حتى يتعرف علينا وقت الشدة، وما أحوجنا أن نلجأ إليه سبحانه ليمنحنا الهداية الإلهية إلى صراطه المستقيم، وما أحوجنا إلى رحمات الله ونيل فضله لنكون في معية المؤمنين في الدارين فكل هذه الثمرات وعد بها رب العزة والجلال إذا اعتصمنا بحبله والتزمنا بشرعه ووثقنا بوعده.

المبحث الرابع: ويلات الفرقة والاختلاف:

نهى الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام عن الفرقة والاختلاف وحذر من الاكتواء بويلاتها مذكراً بما حصل للأمم السابقة من جراء فرقتهم ومحذراً من الويلات التي تنجم عن ذلك والتي من أخطرها:

---

[1] - ينظر : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي م6، ج11، ص122
[2] - ينظر : في ظلال القرآن، ج2، ص823 .
[3] - سورة النساء : الآية 146 .
[4] - ينظر : التحرير والتنوير، لابن عاشور، م3، ج5، ص244 .
[5] - ينظر : الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ج5، ص423 .
[6] - ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج1، ص291- 292

أولاً: التشبه بالكافرين من أبناء الأمم الماضية:

كما قال سبحانه: { **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** }[1] .

(ينهى الله تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضين في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم)[2].

ويقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: قوله: { **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا** } معطوف على قوله { **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** } وفي هذا تمثيل لحال التفرق في أبشع صوره المعروفة لديهم عن مطالعة أحوال اليهود وفيه إشارة إلى أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يفضي إلى التفرق والاختلاف إذ تكثر النزاعات والنزغات وتنشق الأمة بذلك انشقاقاً شديداً. وأريد بالذين تفرقوا واختلفوا الذين اختلفوا في أصول الدين من اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم من الدلائل المانعة من الاختلاف والافتراق، وقدم الافتراق على الاختلاف للإيذان بأن الاختلاف علة التفرق وهذا من المفادات الحاصلة من ترتيب الكلام وذكر الأشياء مع مقارناتها وفيه إشارة بأن الاختلاف المذموم هو الذي يؤدي إلى الافتراق، وهو الاختلاف في أصول الدين الذي يفضي إلى تكفير بعض الأمة بعضاً أو تفسيقه دون الاختلاف في الفروع المبنية على اختلاف مصالح الأمة في الأقطار والأعصار وهو المعبر عنه بالاجتهاد[3] .

ثانياً: الفشل وذهاب القوة:

كما بين الله سبحانه وتعالى وهو ينهي عن الفرقة والتنازع والاختلاف أن مآل ذلك كله هو فشل الأمة وضعفها وهوانها على أعدائها وذلك في قوله: { **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** }[4] .

المعنى ولا تختلفوا فإن التنازع والاختلاف يوجب الفشل والضعف والجبن،وقوله تعالى:{ **وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** } يعني قوتكم، فالناس يتنازعون حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وحين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار، فإذا استسلم الناس لله ورسوله انتفى السبب الأول الرئيس للنزاع بينهم – مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة – فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق، وإنما هو وضع الذات في كفة والحق في كفة وترجيح كفة الحق، عندئذ يزول التنازع ويتلاشى الخلاف ويحل الوفاق والوئام مكان النزاع والصدام فيبقى للدين هيبته وللإسلام قدسيته وللوحدة مكانتها [5] .

والنهي عن التنازع يقتضي الأمر بالتفاهم والتشاور، ومراجعة بعضهم بعضاً حتى يصدروا عن رأي واحد، فإن تنازعوا في شيء رجعوا إلى أمرائهم وردوا أمرهم إليهم ولقد كان التنازع مفضياً إلى الفشل لأنه يثير التغاضب ويزيل التعاون بين القوم، ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر، فيحدث في نفوسهم الاشتغال باتقاء بعضهم بعضاً، وتوقع عدم إلفاء النصير عند مآزق القتال فيصرف الأمة عن التوجه إلى شغل واحد فيما فيه نفع جميعهم، ويصرف الجيش عن الإقدام على أعدائهم فيتمكن منهم العدو كما قال سبحانه: { حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ }[6] .

وهذا الفشل والضعف أدى إلى تفكك الأمة الإسلامية وضعفها وهوانها على أعدائها، فاستبيحت الديار، وانتهكت الأعراض، وخدشت الكرامة، ودنست المقدسات، وعزت النخوة، وقلَّ النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثالثاً: الدخول في دائرة الشرك:

حيث يبين الله سبحانه أن الفرقة والاختلاف هي صفة من صفات المشركين وينهى ويحذر أبناء الأمة من مغبة الوقوع في ذلك فيقول: { **وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** }[7] .

---

[1] - سورة آل عمران : الآية 105 .-

[2] - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج1، ص390 .

[3] - ينظر : التحرير والتنوير، م3، ج4، ص42- 43 .

[4]- سورة الأنفال : الآية 46 .

[5] - ينظر : في ظلال القرآن، ج3، ص1528- 1529 .

[6] - سورة آل عمران : الآية 152 . وينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، م6، ج10، ص30، 31 . و لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، ج2، ص317 .

[7] - سورة الروم : الآيتان 31-32 .

فالله عز وجل هو الذي يصف المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً فالشرك ألوان وأنماط كثيرة، منهم من يشركون الجن، ومنهم من يشركون الملائكة ومنهم من يشركون الملوك والسلاطين، ومنهم من يشركون الكهان والأحبار، ومنهم من يشركون الأشجار والأحبار، ولا تنتهي أنماط الشرك وأشكاله، وكل حزب منهم بما لديهم فرحون، بينما الدين القيم واحد لا يتبدل ولا يتفرق، ولا يقود أهله إلا إلى الله الواحد[1] .

رابعاً: تبرؤ رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – منهم:

فقد برأ الله سبحانه رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – من أصحاب البدع الذين تفرقوا في دينهم واختلفوا فيما بينهم فقال سبحانه: { **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** }[2] فمعنى شيعاً: فرقاً وأحزاباً حيث أوجب الله براءة رسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – منهم، أي هؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا لست منهم يا محمد وهم ليسوا منك[3] .

ورغم هذه التحذيرات الإلهية كلها نجد أمة الإسلام قد اختلفت وتنازعت فضعفت وفشلت وها هي الأمم تتكالب عليها من كل حدب وصوب حتى أصبحت هذه الأمة التي وصفها الله من فوق سبع سموات بأنها خير أمة أخرجت للناس كمّاً مهملاً بين الأمم والشعوب.

وقوله تعالى: { **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ** }[4]

وقوله تعالى: { **أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيه** }[5]

وقوله تعالى: { **حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ** }[6]

وقوله تعالى: { **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُم** }[7]

وقوله تعالى : { **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**}[8].

وقوله تعالى :{ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** }[9]

وقال تعالى: { **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** }[10] .

وقوله تعالى: { **وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** }[11] .

وقوله تعالى: { **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ** }[12] .

الخاتمة

وبالنظر إلى الآيات – سواء التي حثت على الاعتصام بكتاب الله تعالى أو التي حذرت من الفرقة والاختلاف ونهت عن التنازع الذي يؤدي إلى الفشل وذهاب القوة والهيبة – نلاحظ أن جميع هذه الآيات مدنية أي أنها نزلت بعد هجرة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى المدينة وإقامة دولة الإسلام على أرضها، وألمس في ذلك إشارتين:

الإشارة الأولى: للنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ومن آمن معه بأن اعتصامهم بحبل الله تعالى هو سبب من أسباب بناء دولتهم ونشأتها وإظهاره على أعدائه بعد تلك السلسلة من العذابات التي تعرض لها هو– صلى الله عليه وآله وسلم – ومن تبعه من المؤمنين في مكة وتلك الهجرات المتتالية بدءاً بالهجرة الأولى إلى الحبشة ومروراً بالهجرة الثانية إليها،

---

[1] - ينظر : في ظلال القرآن، سيد قطب، ج5، ص 2768 .
[2] - سورة الأنعام : الآية 159 .
[3] - ينظر : التبيان في تفسير القرآن للطوسي ج4 ، ص329 و الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج7، ص 148
[4] - سورة آل عمران : الآية 105 .
[5] - سورة الشورى : الآية 13 .
[6] - سورة آل عمران : الآية 152 .
[7] - سورة الأنفال : الآية 46
[8] - سورة الأنعام : الآية 153 .
[9] - سورة هود : الآية 118-119 .
[10] - سورة الأنعام : الآية 159 .
[11] - سورة الروم : الآية 31-32 .
[12] - سورة التوبة : الآية 107 .

وهجرته – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى الطائف وانتهاء بالهجرة إلى المدينة المنورة، كما كان في هذه الآيات المدنية أيضاً تحذير للنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – والمؤمنين من الفرقة والاختلاف لأن ذلك سيؤدي إلى الضعف بعد القوة وإلى الفشل والهزيمة بعد النجاحات والنصر والتمكين.

الإشارة الثانية: إلى أبناء أمة الإسلام بأن يعتصموا بكتاب الله تعالى ويلجأوا إليه ويحتموا بجنابه حتى يعودوا إلى مجدهم وعزهم، فلا يمكن أن تقوم لهم قائمة إلا بالسير على خطى الحبيب محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – ولن تعود إلى الأمة عزتها وكرامتها إلا إذا اعتز أبناؤها بالإسلام ونبذوا الفرقة والخلافات وأصبحوا على قلب رجل واحد فلن تنتصر أمة الإسلام ولن يتحقق وعد الله لها إلا بنصرة دينه كما قال سبحانه: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** }[1] .

المصادر

القرآن الكريم

1- التبيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت 460هـ، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، بيروت، الطبعة الثانية.

2- التحرير والتنوير، لمحمد بن طاهر بن عاشور ت 1393، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

3- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ت 774هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1999م.

4- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، ت 310، تحقيق: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000.

5- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ت: 671هـ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1964م.

6- زهرة التفاسير، لأبي زهرة ، دار الشروق، القاهرة، 1983م.

7- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة ، الترمذي ت 279هـ، تحقيق: احمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، 1975م.

8- صحيح مسلم، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت 261هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

9- غرر الحكم ودرر الكلم لعبد الواحد بن محمد الآمدي، قم – ايران.

10- في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ت 1385هـ، دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعة السابعة عشر، 1412هـ.

11- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

12- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري ت 538هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ.

13- لباب التأويل في معاني التنزيل، لأبي الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن المعروف بالخازن ت 741هـ، تحقيق: محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

14- لسان الميزان لمحمحد بن مكرم بن منظور ت 711هـ، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.

15- مجمع البيان لأبي على الفضل بن الحسن الطبرسي ت 655، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية.

[1] - سورة محمد: الآية 7 .

16- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ت 710هـ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، 1998م.
17- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام حمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1991م.
18- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني ت 211هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ.
19- وسائل الشيعة، محسن الأعرجي، من جهاد النفس، رقم الحديث ٢، المحقق: الكاظمي طبع على الحجر، إيران، 1321هـ.